النظائر في القرآن الكريم

بين

مقاتل بن سليمان البلخي ومحمد بن علي الحكيم الترمذي

للدكتور محمد الشاذلي

رغم الحملات الضارية التي استهدفت النيل من اللغة العربية والقرآن الكريم منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، فقد كشف المحققون عن روائع قديمة في علوم القرآن الكريم كما كشفوا النقاب عن أوجه الإعجاز البياني والتشريعي في كتاب الله الخالد ، هذا بالاضافة لما كشفه الباحثون حديثا من أوجه اعجازه التاريخي والعلمي .

وموضوع اليوم يتعلق بالاعجاز البياني اللغوي للقرآن الكريم وهو فرع من علوم القرآن وتفسيره يعنى بالدراسة التحليلية للمصطلحات الواردة في القرآن الكريم . وأقدم ما أشارت اليه المراجع في هذا الموضوع هو كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» تأليف مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة 150 هجرية (767 م) الذي يعتبر من أوائل من كتب في علوم القرآن الكريم . وقد حقق هذا الكتاب القيّم حديثا الدكتور عبد الله محمود شحاته المدرس بكلية دار العلوم بالقاهرة وقدم له بمقدمة دراسية عن المؤلف والكتاب ، وكان المحقق قد عثر على نسخة مصورة لمخطوطة الكتاب بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة عن أصل محفوظ بمكتبة عمومية في تركيا برقم 516 ، وهو مكتوب في القرن السابع الهجري بخط نسخ جميل ، ولم يعثر السيد المحقق على نسخة أخرى فاستعان في تحقيقه وضبطه بالتفسير الكبير للمؤلف نفسه الذي سبق له أن حققه .

ومن الجدير بالذكر أن المحقق قد حصل على الجائزة الثالثة من بحثه هذا في المسابقة الثانية التي نظمها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط عام 1393 هـ (1973 م).

ويبدو أن الدكتور شحاته لم يطلع على كتاب هام نشر عام 1389 هـ (1969 م) بالقاهرة وهو «تحصيل نظائر القرآن» تأليف محمد بن علي الحكيم الترمذي المتوفى نحو سنة 320 هـ (932م) ، فانه لم يشر اليه، ولو اطلع عليه لاستفاد منه كثيرا كما سنرى ، لان كتاب الحكيم الترمذي — الذي حققه الاستاذ حسني نصر زيدان عن نسخة كتبت في أوائل القرن السادس الهجري وهي محفوظة ضمن مجموعة بمكتبة الاسكندرية البلدية تحت رقم 3585 ج — انما هو شرح ومعارضة لكتاب مقاتل بن سليمان ، ولم يطلع الاستاذ زيدان بدوره على كتاب مقاتل ولم يشر اليه ، ولهذا فقد كنت اعتبره عملا ناقصا لايستكمل الا بالاصل ، وحمدت الله أن ساقتني الاقدار الى مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي فاطلعت على هذا الاصل وهو كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» ، وقد بدأ الحكيم الترمذي كتابه بقوله : (الحمد لله رب العالمين ، ولي الحمد وأهله وبعد : فإنا نظرنا في هذا الكتاب المؤلف في «نظائر القرآن» فوجدنا الكلمة الواحدة مفسرة على وجوه ، فتدبرنا ذلك فاذا التفسير الذي فسره انما اختلفت الالفاظ في تفسيره ، ... الخ) وقد علق المحقق على هذا بقوله :

(يشير بذلك الى سبب تاليفه كتاب «تحصيل نظائر القرآن» الذى بين ايدينا ، وانه وقع فى يده احد الكتب المؤلفة فى نظائر القرآن ولكنها تخالف منهج الترمذى)

ولعل السبب فى ان الحكيم الترمذى لم يصرح باسم المؤلف فى كتابه هو طبيعته فى التاليف كما سنعرض لها ، وربما دل ذلك ايضا على شهرة كتاب مقاتل وقتها.

ولعله من الاولى ان نعرض لحياة مؤلفى الكتابين بتعريف مختصر قبل ان نعرض للكتابين ، ومن اراد التوسع فى معرفة اخبار الرجلين فليرجع الى كتب التراجم القديمة او الدراسات المتخصصة الحديثة كدراسة الدكتور عبد الله محمود شحاته عن «مقاتل بن سليمان » ودراسة الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة المدرس بكلية اصول الدين بالازهر الشريف عن «الحكيم الترمذى» .

ويسترعى انتباهنا لاول وهلة التشابه فى حياة الرجلين رغم اختلاف مشربيهما ورغم ان الزمن يفصل بينهما بنحو قرن كامل ونصف ، كلاهما نشأ فى خراسان وكلاهما اتهم بتهم عديدة كضعف الحديث وانزلاق الاسرائيليات فى كتاباته ، وكلاهما كان له رغم ذلك تاثير قوى فى الفكر الاسلامى برد الشبهات ودفع البدع ، وكلاهما كان يميل للتشيع المعتدل(محبة آل البيت دون الطعن فى اى من الصحابة رضى الله عنهم جميعا) رغم ان الاول «مقاتل بن سليمان» كان سلفيا كلاميا يزعمون انه كان يقول بالتشبيه ويتستر ويتزلف للحكام العباسيين وكان الثانى «الحكيم الترمذى» فقيها محدثا صوفيا ينفر من علم الكلام ويعارض التشيع المتطرف ويبعد عن السياسة والحكام .

ولد ابو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى بمدينة (بلخ) فى خراسان وتوفى بالبصرة سنة 150 هـ . ورغم ان المراجع تكاد تتفق على سنة وفاته الا انها لم تذكر سنة ميلاده وان رجّح الدكتور شحاته انها قد تكون سنة 80 هـ ، وهو نشأ فى (بلخ) وتعلم فيها وكان مقربا من حاكم (بلخ) سالم بن احوز المازنى عامل بنى امية ، وكان فيها ايضا جهم بن صفوان المعتزلى المعطل الذى يقول بنفى الصفات عن الله عز وجل وبالقدر ، ولعل ذلك دفع مقاتل للغلو فى الاتجاه المضاد وهو (التشبيه) وقامت بينهما مناظرات . وقد تحول مقاتل الى مدينة (مرو) وتزوج فيها وبدا تفسيره بها ثم تحول الى العراق فنزل البصرة ودخل بغداد وكانت له منزلة عند الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور وابنه المهدى ثم عاد الى البصرة وتوفى بها ، وقد اشتهر مقاتل بسعة معارفه وكثرة معلوماته ولكنه اتهم بالكذب والتدليس وبغلوه فى التشبيه ، ولهذا امتنع ائمة الحديث عن الرواية عنه ، الا ان الاحاديث الواردة فى كتبه الباقية الى الآن اكثرها فى كتب الصحاح والسنن ،والضعيف فيها بنسبة نادرة، كما تخلو كتبه من التهم التى نسبت اليه ، ويتساءل الدكتور شحاتة : هل قال مقاتل بذلك فى صدر حياته او فى مجادلاته ومناظراته ثم عدل عنها ولم يثبتها فى مؤلفاته ، ام ان رواة كتبه ونساخها قد هذبوها وحذفوا ذلك منها ؟ ام انها كانت مجرد افتراءات من خصومه وحساده ؟ . ثم ان هناك اقوالا ترفع منزلته فى التفسير وتثنى عليه فى الرد على الزنادقة وشرح المتشابه والمشكل من آيات القرآن الكريم ، هذا ويمتاز تفسيره بالبساطة ، وبالاحاطة بمعانى الآيات ونظائرها ، فهو تفسير بيانى للقرآن بالقرآن ، وهو اول من اشار الى «الكليات» فى القرآن الكريم فيقول مثلا : «كل شىء فى القرآن (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يعنى بأمر ربهم» وقد احصى له الدكتور شحاتة 32 كلية على حرف الالف و10 على حرف الباء و5 على حرف التاء . . . الخ فى نحو 248 كلية ، الا ان تفسيره يعيبه خلوه من الاسانيد ووجود الاسرائيليات . واما كتابه «الوجوه والنظائر فى القرآن» فيقول عنه الدكتور شحاتة انه : **(يعتبر من امهات كتب اللغة العربية ، وفيه تظهر خصوبة هذه اللغة وثراؤها ، وانها غنية بالاصول والوجوه والنظائر قادرة على ان تستجيب لنهضتنا وان تمدنا بكل ما نحتاج اليه ، والكتاب فى نفس الوقت من امهات المراجع فى علوم القرآن وبيان ثروته اللفظية وإعجازه اللغوى)** .

وولد ابو عبد الله محمد بن على الملقب بالحكيم الترمذى بمدينة (ترمذ) المشهورة فى اوائل القرن الثالث الهجرى (نحو 205 هـ) ولم تذكر المراجع التاريخية تاريخ ولادته بالضبط ، وقد اختلف المؤرخون كذلك فى تاريخ وفاته ، الا ان الدراسات الحديثة تبين ان وفاته كانت فى نحو سنة 320 هـ . ويبدو ان والده كان من العلماء اذ انه يروى عنه كثيرا من الاحاديث ، وفى ترجمته لنفسه (بد وشأن ابى عبد الله) يحدثنا انه اشتغل بعلوم عصره وهو فى سن الشباب وفى نحو الثلاثين اشتغل بالتصوف وعلوم القرآن ، وكانت له زوجة صالحة ساعدته على

تهيئة الجو الروحى الصافى له · وقد تعرض فى حياته لفتن كثيرة واتهامات عديده لخصها ابن حجر (الميزان ج 5 ص 308) : (اتهامات بأنه يروى فى كتبه الفظيعة الاحاديث الموضوعة ، وحشاها بالاخبار التى ليست بمروية ولا مسموعة ، وبأنه ادخل فى علم الشريعة ما فارق به الجماعة ، وعلل الامور الشرعية التى لا يعقل معناها بعلل ما اضعفها واوهاها ، وبأنه ادعى الكشف عن الدقائق والأمور الغامضة والحقائق ، حتى خرج بذلك عن قاعدة الفقهاء واستحق عليه بذلك الطعن والازدراء) ·

بل وصل الامر أن سعوا به الى والى (بلخ) فأخذ عليه الا يتكلم فى (الحب) وانزوى فى بيته لا يرفع راسه من المهانة ، حتى حدثت فتنة سياسية فى البلاد فهرب حساده واجتمع الناس عليه وخرج من عزلته وشاع ذكره وانتشرت كتبه وتبين الناس افتراء اعدائه عليه ، وكاتبه العلماء وكبار الصوفية ، وقد اعتنى المتصوفون بكتبه جيلا بعد جيل حتى وصل الينا معظمها ، واكثرها صنّفاها ردا على اسئلة تلاميذه ، ولم يكن يهمه فيها الا توضيح افكاره معتمدا اعتمادا كبيرا على التحليل اللغوى.

والحكيم الترمذى يعتبر بحق مبتكر ثلاث نظريات جديدة : نظرية متكاملة فى الولاية «ختم الاولياء» ونظرية فى حكمة الاحكام الشرعية «علل الشريعة» **ونظرية لغوية فى ان للالفاظ معنى محددا لا يتغير وان الاسماء سمات المدلولات** «الفروق ومنع الترادف» · ويبدو لى انه حينما قرأ الحكيم الترمذى كتاب **«الوجوه والنظائر** فى القرآن» لمقاتل بن سليمان الذى حاول فيه أن يبرز ان اللفظ الواحد او المصطلح يرد على وجوه كثيرة **متباينة حاول حصرها ، رد عليه الحكيم الترمذى** موضحا ان تلك الوجوه المتعددة فى الظاهر انما تتشعب من اصل واحد تدور حوله ، وقد استكمل نظريته هذه فى فهم القرآن الكريم فى كتابه «الفروق ومنع الترادف» ·

واما عن الكتابين فان كتاب مقاتل بن سليمان هو اول ما الف فى هذا النوع من الدراسات بالاجماع ، اذ يقول الزركشى (البرهان ج 1 ص 102) :

(النوع الرابع فى الوجوه والنظائر ، وقد صنف فيه قديما مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتاخرين ابن الزاغونى ، وابو الفرج بن الجوزى ، والدمغانى الواعظ ، وابو الحسين بن فارس · · · فالوجوه : اللفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معانى كلفظ «الهدى» له سبعة عشر معنى فى القرآن بمعنى البيان كقوله تعالى « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ » وبمعنى الدين « إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ » وبمعنى الايمان « وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى » والنظائر : كالالفاظ المتواطئة) .

والنسخة التى حققها الدكتور شحاته يوجد فى اول **صفحة منها بخط الناسخ «هذا كتاب الاشباه والنظائر** فى تفسير القرآن العظيم للامام مقاتل بن سليمان «وفى الصفحة الثانية» مما الف ابو نصر من **وجوه** القرآن عن مقاتل بن سليمان مما استخرج «وفى نهاية الجزء **الاول» تم الجزء الاول من الاشباه والنظائر لمقاتل بن** سليمان رحمه الله» وفى نهاية الجزء الثانى «تم **الوجوه** والنظائر بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على نبيه محمد وآله»

ومن هذا يتبين أن كلمة (النظائر) متفق عليها **ويذكرها الحكيم الترمذى منفردة ، وانما وقع الاختلاف** فى كلمة (الوجوه) بدل (الاشباه) وان كان يبدو لى ان كلمة (الوجوه) اقرب ، حيث انه يبدأ كل مادة بقوله : **«تفسير (كذا) على (كذا) وجه» وتضم هذه النسخة 185 مادة متفرقة بلغ عدد وجوهها جملة 764 ، تبدأ بمادة (الهدى) وتنتهى بمادة (الفسق) وهى مجموعة على غير نسق معروف لا من حيث أصل الكلمة ولا من حيث ترتيبها** فى المصحف ولا حسب الحروف الابجدية فى ترتيب المعجم، وهو يأتى باللفظ من القرآن الكريم ويحاول أن يحصر عدد أوجه معانيه ويستشهد بمجموعة فقط من الآيات — وليست كلها — التى ورد فيها هذا اللفظ بالمعنى الذى حدده والتفسير الذى ارتآه ، وبديهى أن هذا مجرد اجتهاد من المؤلف اذ أن عدد الوجوه الذى ذكره ليس موقوفا ولا مطلقا ، كما ان معانى الوجوه التى ذكرها يمكن ايضا الاختلاف فيها ، ولم يشر مقاتل الى اى ارتباط يربط بين الوجوه المختلفة للفظ الواحد ، وهذا **ما تبينه الحكيم الترمذى بعد ذلك فلم يلق اهمية كبيرة** لعدد الوجوه فى حد ذاتها واستفرغ جهده فى بيان اصل المعنى للمصطلح ، وما يشتق منه للوجوه المختلفة ، وقد لاحظت أن بعض الوجوه قد فسرها مقاتل فى معان ضيقة جدا قد لا يقره عليها الكثيرون ، ويبدو لنا ذلك فى المادة رقم 78 — «الارض» فقد فسرها على سبعة وجوه جعل اول وجه منها : «ارض الجنة» فسر بها آية سورة الزمر **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ**

العَامِلِين) وآية سورة الانبياء (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) · وفى الوجه الثانى : الارض يعنى «الارض المقدسة» بالشام خاصة ، واذا صدق هذا فى آية سورة الانبياء (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) فان آية سورة الأعراف (وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) **لها معنى نعرفه اوسع كثيرا مما ذكره،** وهذا ينطبق ايضا على الوجه الثالث : الارض يعنى «ارض المدينة» خاصة واستشهد بآية سورة العنكبوت (يَاعِبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) وآية سورة النساء (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) **يعنى ارض المدينة ، ولكن الثابت ان الهجرة قد** تمت اولا الى ارض الحبشة كذلك ، فالاولى هنا ان الارض بمعناها الواسع ، وفى الوجه الرابع : الارض يعنى «ارض مكة» خاصة ، واستشهد بآية سورة الرعد (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الغَالِبُونَ) ونحن نرى لهذه الآية الكريمة معنى علميا **يشير الى طغيان البحر على اطراف اليابس ووقوف الانسان امامه شبه عاجز ،وفى الوجه الخامس : الارض يعنى «ارض مصر»خاصة ، واستشهد بآيات فى سورة** يوسف (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ) وَ (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ) · · · الخ ، مع انه من الثابت أن سلطان مصر وقتها كان مبسوطا على رقعة كبيرة من الارض خارج حدود مصر ، ويرى البعض ان لفظ (مصر) كان يطلق وقتها كلفظ (المدينة) حاليا ومنه الكلمة العربية (الأمصار) وقول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل (اهْبِطُوا مِصْراً) ، وبمعنى مصر فسر (الارض) ايضا فى آية سورة الاعراف (إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ) مع ان هذا ينطبق على الارض عامة فى كل العصور ، وفى الوجه السادس : الارض يعنى «ارض العرب او ارض المسلمين» وفسر بذلك آية سورة الكهف (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) مع ان الثابت أن هذا كان **فى زمن ذى القرنين والمقصود هنا البلدان التى كانت** تجاورهم عند السدين ، والوجه السابع : الارض يعنى جميع الارض «الارضين» وفيها آيات كثيرة نحو آية سورة الانعام (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ) · هذا ولفظ (الارض) قد ورد فى القرآن الكريم فى 461 موضعا اغلبها يعنى جميع الارض ، وبعضها لها اوجه اخرى غير التى ذكرها ، مثل «ارض بنى قريظة» فى آية سورة الاحزاب (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا) ، وياحبذا لو تفرغ لهذه الدراسة الشيقة بعض الباحثين ليشرح كل الوجوه فى كل الآيات القرآنية ، وهو لاشك مجهود ضخم ولكنه يستحق ما يتجشم فى سبيله من عناء ·

وبمقارنتنا كتاب «الوجوه والنظائر فى القرآن» لمقاتل بن سليمان مع كتاب «تحصيل نظائر القرآن» للحكيم الترمذى وجدنا **أن كتاب الترمذى هو شرح ورد** على نفس الكتاب الاول فهو يبدأ بشرح المادة الاولى **(الهدى) ويوضح اختلاف الالفاظ فى وجوهها التى** تتشعب من أصل واحد فيقول · (· · · ومرجع ذلك الى كلمة واحدة ، وانما تشعبت حتى اختلفت الفاظها الظاهرة للاحوال التى انما نطق الكتاب بتلك الالفاظ من اجل الحادث فى ذلك الوقت وذلك مثل قوله (قول مقاتل): **الهدى** ، فقد جاءت على ثمانية عشر وجها ، فالحاصل من هذه الكلمة كلمة واحدة فقط ، وذلك أن الهدى : هو الميل ، ويقال فى اللغة : رايت فلانا يتهادى فى مشيته اى يتمايل ، ومنه قوله تعالى (على لسان بنى اسرائيل) (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) اى ملنا اليك ، ومنه سميت الهدية هدية لانها تميل بالقلب ، والقلب أمير على الجوارح ، فاذا هداه الله لنوره — اى اماله اليه لنوره — اهتدى : اى استمال ، وقد قال فى تنزيله (يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) فهذا اصل الكلمة ، ثم وجدنا تفسيره (تفسير مقاتل) الهدى : **(البيان)** وانما صار الهدي بيانا فى ذلك المكان ، لان البيان اذا وضع على القلب بنور العلم ، مد ذلك النور القلب الى ذلك الشىء واماله اليه · **الاسلام** ، وانما صار الهدى فى المكان الآخر الاسلام لانه اذا مال القلب بذلك النور الى ذلك الشىء الذى تبين له : انقاد العبد واسلم · · · الخ».

ثم تتابع المواد بنفس الترتيب الذى ورد فى كتاب مقاتل الا اننا نفاجأ بعد المادة رقم 9 — السوء ان 25 مادة متتالية (**الخزى — باءوا — الرحمة — الفرقان — فاتقون — الذكر — الخوف — الصلاة — الناس — كتب — الخير — الخيانة — الامام — الأمة — الشقاق الوجه — الفتنة — العدوان — الاعتداء — الفرض — العفو — الطهور — إنّ — انى — الظن**) **قد شرحها الحكيم الترمذى ورد عليها ، ولا توجد فى** النسخة التى بين ايدينا من كتاب مقاتل ، ولما كان من المؤكد أن هذه المواد الخمس والعشرين كانت توجد فى **النسخة التى قراها الحكيم الترمذى فاننا لاندرى هل**

سقطت سهوا من الناسخ لكتاب مقاتل اثناء نسخه أم انها نسخة مختلفة ؟ ثم نجد المادة رقم 35 فى كتاب الحكيم الترمذى وهى **(الحكمة)** موجودة برقم 12 فى كتاب مقاتل يسبقها مادتان برقم 10 ــ **الحسنة والسيئة** و11 ــ **الحسنى** لاتوجدان فى كتاب الحكيم الترمذى ، وكذلك لاتوجد المادة رقم 13 ــ **الأمر** اما المادة رقم 14 ــ **المعروف** فتاتى بعد **(الحكمة)** برقم 36 فى كتاب الحكيم الترمذى ، وكذلك لا نجد فى كتاب الترمذى المواد التالية:

16 ــ **الظلمات والنور** ، 17 ــ **الظلمات** ، 19 ــ **الظلم** ، 22 ــ **الطيبات** ، 23 ــ **الطيب والخبيث** ، 33 **اقام الصلاة** ، 42 ــ **هل** (التى نجد بدلا منها مادة **(الردى)** برقم 57 فى كتاب الحكيم الترمذى وهى لاتوجد فى كتاب مقاتل) ، 62 ــ **سريع** ، 67 ــ **الفرار** واخيرا 68 ــ **جعلوا** .

واما المادة رقم 69 فى كتاب مقاتل وهى **(السبيل)** فنجدها المادة الاخيرة من كتاب الحكيم الترمذى برقم 81 ، وتستمر المواد بعد ذلك فى كتاب مقاتل تتوالى حتى ينتهى الجزء الاول عند المادة رقم 82 ــ **النشور** واخيرا ينتهى الكتاب بالمادة رقم 185 ــ **الفسق** .

وبهذا يظهر لنا أن كتاب «تحصيل نظائر القرآن» الذى بين ايدينا ليس الا شرحا ومعارضة لجزء واحد فقط من كتاب «الوجوه والنظائر فى القرآن» وتبقى اسئلة تنتظر الاجابة : هل اكمل الحكيم الترمذى شرح الكتاب كله ولم يصلنا الا الجزء الاول منه ؟ وهل لم يصله منه غيره ؟ ام انه اكتفى بشرح الجزء الاول منه فقط ؟ ثم ما هو تفسير غياب 25 مادة جملة واحدة فى النسخة التى بين ايدينا من كتاب مقاتل مثبتة فى كتاب الحكيم الترمذى يقابلها غياب نفس العدد تقريبا من مواد متفرقة فى كتاب الحكيم الترمذى ومثبتة فى نسخة كتاب مقاتل التى بين ايدينا ؟

ربما امكن تعليل الغياب الاخير بان الحكيم الترمذى قد تخطى بعض الالفاظ (المواد) فلم يعلق عليها، وان كان هذا التعليل محتملا ، الا اننى اجده احيانا يعلق على بعض المواد فى سطور ثلاثة فقط ولا يتركها مثل مواد : **ادنى والمحصنات والسوى والاسباب** ، كما أن الترتيب المنتظم والتعليق المتوالى على المواد يجعلنى اقطع بان الكتاب لو كان قد وصل الى الحكيم الترمذى فى الصورة التى وصلتنا ، فلا بد انه قد شرحه كاملا ، وقد لا حظنا ان بعض المواد تخلف قليلا فى كتاب الحكيم الترمذى عن نظيرها فى كتاب مقاتل مثل : (**اللباس**) يقابلها (**اللبس**) ، (**اطمأن**) يقابلها (**تطمئن**) ، (**احس**) يقابلها (**الحس**) ، (**الباساء والضراء**) يقابلها (**الضر**) ، (**الشهيد**) يقابلها **الاشهاد**) «**الخاسرون**» يقابلها «**خسران**» ، «**التقوى**» يقابلها «**اتقوا**» ، «**السوى**» يقابلها «**السواء**» ، «**بغير حساب**» يقابلها «**الحساب**» ، كما أن مادة «**الايمان**» تاتى قبل مادة «**الشكر**» فى كتاب الحكيم الترمذى ، وان كان هذا لا يغير من المعنى ، الا ان كل هذا يرجح أن النسخة التى وصلت الحكيم الترمذى من كتاب مقاتل بن سليمان فى «نظائر القرآن» هى غير النسخة التى بين ايدينا الآن ، وسأسوق فى النهاية مثالا واحدا من كتاب « مقاتل بن سليمان» مع ما يقابله من شروح وتعليق «الحكيم الترمذى» يوضح منهج كل منهما :

يقول مقاتل :

تفسير **الطاغوت** على ثلاثة وجوه :

فوجه منها الطاغوت يعنى **الشيطان** ذلك قوله فى (سورة) البقرة (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ) يعنى بالطاغوت الشيطان ، نظيرها ، فى (سورة) النساء حيث يقول : (والذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) يعنى فى طاعة الشيطان ، نظيرها ايضا فى المائدة حيث يقول (وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ) يعنى الشيطان .

والوجه الثانى : الطاغوت يعنى الأوثان التى تعبد من دون الله فذلك قوله فى سورة النحل (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ). يعنى واجتنبوا عبادة الاوثان ، نظيرها فى الزمر حيث يقول (والذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) يعنى الذين اجتنبوا عبادة الاوثان (وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِم) .

والوجه الثالث : الطاغوت يعنى **كعب بن الأشرف** اليهودى فذلك قوله تعالى فى سورة البقرة (والذِين كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ) يعنى كعب (يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) ، نظيرها فى النساء حيث يقول (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكتابِ) يعنى اليهود (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغوتِ) يعنى كعب بن الاشرف .

ويقول الحكيم الترمذى :

(واما قوله «الطاغوت» على كذا وجه : فالطاغوت مشتق من الطغيان ، اخرجه على قالب «فاعول» ، وهو المجاوزة ، فاذا قوى الشىء ووفرت نفسه : كان على قالب «فاعول» فلذلك صارت تاويله **الشيطان** ، وفى مكان آخر **الكاهن** ، وفى مكان آخر **كعب بن الاشرف** اليهودى) . **فالطاغوت** : هو الطغيان على البشر الذى

يطاع من دون الله 1 ــ **كالشياطين** الطاغين الذين يعملون فى الخفاء. 2 ــ **او كالكهان** الدجاجلة على اختلاف انواعهم : سواء أكانوا كهنة لأوثان جمادية ساكنة ، او حية متحركة ، أو وهمية خيالية ، والاوثان فى حد ذاتها لاتضر ولاتنفع ولكنها لعبة فى طواغيت الكهنة ، ولعل اول مرة فى التاريخ برهن فيها الكهنة على سلطانهم يوم دعا «آمنحتب الرابع» (إخناتون) لثورته «التوحيدية» منذ نحو 33 قرنا ، فانتقم كهنة (آمون) بتلطيخ سمعته حيا وميتا . 3 ــ **او كدعاة الحقد والعصبية** ويربط بين هذه الصور الثلاث للطاغوت خيط دقيق هو الإلحاد والعمل بالكذب والخداع .

ومن هذا نرى أن الحكيم الترمذى يوضح أصل المصطلح فى دقة بالغة يظهر منها اشتقاقات كل صور الوجوه للفظ ، ولا يتناقض التخصيص مع العموم .

ليت الحظ يسعفنا بالعثور علي نسخ اخرى من كتاب «الوجوه والنظائر» تستكمل نقص النسخة الحاضرة ، والعثور على الجزء الثانى من شروح الحكيم الترمذى ليطبعا معا فى مجلد واحد ، اذ انه أصل التفسير البيانى للقرآن العظيم ، ولو توفر بعض الباحثين المخلصين للمضي فى هذه الدراسة قُدُماً فانهم سيسهمون بلا شك فى اثراء المعرفة الانسانية .